الأدب الإسلامي: إشكالية مصطلح أم بحث عن صيغ بديلة؟ [1-2]

كتّاب «الأدب الإسلامي» لم يستطيعوا أن يخرجوا من إطار الماضي أو يقدموا أدبا حديثا يواكب العصر ويشتبك مع مشكلات الواقع الراهن

عمان ـ «القدس العربي» ـ من يحيى القيسي:

هل هناك أدب إسلامي أو لا وما هي خصائصه وأجناسه ومحدداته؟

أم أن هنالك أدبا فقط بغض النظر عن دين كتابه؟ وهل يمكن في هذا السياق التحدث عن أدب مسيحي وبوذي ويهودي وغيره وما الذي يمكن أن يحدد خصوصيته؟

ولماذا توجد رابطة خاصة بالأدب الإسلامي ولا ينتمي أعضاؤها إلى روابط الأدباء العرب المنتشرة؟

وما الذي يمكن أن تقدمه هذه الرابطة لمنتسبيها مما لا تقدمه اتحادات الكتاب العرب الأخرى؟

ثم ما هي الإشكاليات وردود الفعل التي يمكن أن تنشأ في حالة الاستمرار في مثل هذه التقسيمات اللاأدبية والقائمة على أسس دينية؟

هذه بعض الأسئلة التي نقلتها «القدس العربي» لبعض أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية فرع الأردن، وعدد آخر من الكتاب ما بين مؤيد ورافض لمثل هذه التقسيمات، ولعل مثل هذا الحوار يساهم في التعريف بمثل هذا الموضوع وإغنائه بمختلف الآراء.

أدب إنساني فقط

عزمي خميس

■ الذين يعتقدون أو يؤمنون بأن هناك شيئا اسمه الأدب الإسلامي، إنما يورطون أنفسهم ويورطون الآخرين في مجموعة من الأوهام ويستثيرون جملة من الإشكاليات التي تتناسل إلى ما لانهاية، ومن حيث يعتقدون أنهم بطرحهم لمفهوم الأدب الإسلامي إنما يتبنون قضية سامية أو نبيلة، فإنهم يسيئون لأنفسهم وللإسلام وللمسلمين بشكل عام، ويسيئون لمفهوم الأدب بشكل خاص.

مشكلة ما يسمى بالأدب الإسلامي أن كتّابه لم يستطيعوا أن يخرجوا من إطار الماضي، ولم يستطع أي منهم أن يقدم أدبا حديثا يواكب هذا العصر ويشتبك مع مشكلاته وتعقيداته بروح إسلامية تجيب على أسئلة الوجود وتسدّ الثغرة الروحية التي يفتقر لها العالم المعاصر الغارق في المادية، بينما نجد كتّابا عالميين ليسوا مسلمين أبدعوا أدبا بالغ العمق، شديد الشفافية، ينفذ إلى أعمق أعماق الحاجات الروحية للإنسان المعاصر الباحث عن الحقيقة، والمتأمل في هذا الكون، والذي يشعر بعظمة الله ونواميسه المبثوثة في الوجود.

إن كاتبا كبيرا مثل باولو كويللو المتأثر بالتراث الإسلامي، استطاع أن يستقطب ملايين القراء في العالم بفضل تحديقه الدقيق في النفس البشرية ونزوعها إلى الحق والخير، ومعرفة الله، حتى أن القارئ لرواياته وتأملاته في خفايا النفس البشرية من خلالها يشعر أنه ليس بعيدا عن أجواء «الحكم العطائية» لأبي عطاء الله السكندري، أو الرسالة القشيرية، أو «اللمع» في التصوف، أو غيرها من كتب التراث الصوفي التي صبت اهتمامها على تنقية النفس البشرية وارتقائها واستمدادها من عالم الروح.

ونجد كاتبا عظيما مثل نيكوس كازنتزاكي يكرس كتاباته ورواياته الرائعة ليقدم لنا نموذجا معاصرا على الإنسان المتطلع إلى معرفة ربه، ومعرفة موقعه في الوجود، ومعرفة مصيره بعد الموت، سواء في «المسيح يصلب من جديد»، أو «الأخوة الأعداء»، أو «الإغواء الأخير للمسيح»، أو «القديس فرانسيس»، أو في كتابه المذهل «تصوف» الذي يختزل فيه كل تأملاته العميقة في الإنسان وعلاقته بالله. والقائمة تطول وتشمل معظم المبدعين العالميين الكبار الذين أرّقتهم أسئلة الوجود والمصير، أمثال تشيخوف، وتولستوي، وديستويفسكي، وإدجار ألن بو، وهيرمان هيسّه، وأوسكار وايلد، وفيتزجيرالد، ووالت ويتمان، ولوركا، وغيرهم كثيرون.

الإبداع المدفوع بالبحث عن الحقيقة، والمؤرّق بالوجود الإنساني يصل أصحابه بصدقهم إلى معرفة الله، وهؤلاء خرجوا من التصنيفات الدينية والمذهبية السائدة.

أما الذين اصطبغ أدبهم بنزعة دينية، وخاصة بعض اليهود، فهؤلاء كانت مرجعيتهم الحقيقية مرجعية سياسية عمادها الصهيونية.

السؤال هو: هل يمكن للأدب أن يتم تصنيفه على هذه الأسس؟ هل هناك بالفعل أدب مسيحي، وأدب بوذي؟ هل يمكن أن يكون هناك أدب شيعي، وأدب سني، وأدب كاثوليكي، وأرثوذكسي، وبروتستنتي؟ هل يرضى ماركيز، وزوسكيند، وماريو بارغاس يوسا، ودان براون، وكويللو أن يصنفوا أنهم أدباء مسيحيون؟!!

و أية إشكاليات سيطرحها تقسيم الأدباء على هذه الأسس الدينية؟

لا أعتقد أن هناك أدبا إسلاميا، أو مسيحيا، أو بوذيا، أو برهميا.

هناك أدب إنساني هدفه الارتقاء بالإنسان، والإجابة على تساؤلاته الحارقة عن وجوده وموته ومصيره. وما عدا ذلك يمكن أن نسميّه أي شيء إلا أن يكون أدبا !

قاص ومدير تحرير مجلة «أفكار» الثقافية

الرابطة إطار للأدباء الملتزمين بالإسلام

محمد ضمرة

■ حيثما كان الأدب فهو نتاج إنساني حتى ولو قيل أو كتب بلغة قوم إلا أن هذه اللغة التي مورس بها الفعل الكتابي ليست مقفلة على ذاتها وإنما من الممكن ترجمة هذا النص إلى كافة اللغات الإنسانية، وهذا ما تم فعله في كافة الأمكنة وعلى مدار الأزمنة المتعاقبة.

وبدهي أن العالم لا يتكلم لغة موحدة حيث هناك لغات متعددة، والأدب يأخذ هويته من اللغة التي يكتب بها.

وبهذا نشأ الأدب العربي والذي يعني بالضرورة أنه الأدب المكتوب بالنص العربي بداية وإن ترجم هذا النص إلى لغة أخرى فإنه يشار إليه أنه مأخوذ عن لغته الأم التي كتب بها.

ومع أن العالم العربي مقسم إلى وحدات إقليمية لها صبغة قطرية خاصة فقد نشأ ما يسمى بالأدب القطري، لا للتقليل من حجمه ومكانته ولكن لأهمية انتمائه لقطره ولأهمية انتماء القطر لهذا الإنتاج المتميز.

وهذا ما جعل كل قطر من الأقطار العربية ينشئ اتحاداً أو رابطة لضم هؤلاء القائمين على هذا العمل الإبداعي فنشأت اتحادات لكل قطر عربي ضم كل واحد منها مجموعة الأدباء المتواجدين في هذا القطر أو ذاك باستثناء اتحاد الكتاب العرب في دمشق الذي أبقى الباب مفتوحاً لكافة الكتاب والأدباء العرب في الوطن العربي، وهذا الاستثناء جاء بناء على الفكرة القومية العامة التي أنشئ عليها الاتحاد وعدم الإيمان بالتجزئة التي جاءت نتيجة لاتفاقيات سايكس بيكو في بداية القرن الماضي.

حتى مع وجود بعض الفروقات، إلا أن كل بيئة تختلف في قليل أو كثير مع غيرها وهذا الاختلاف يرجع إلى عوامل كثيرة أهمها الفكر الخاص بالجماعة وهذا الفكر هو الذي يحدد المفاهيم الدالة على نظرة الإنسان للحياة والوجود، ومع أن القضايا الإنسانية والأخلاقية متشابهة إلى حد كبير لدى جماعات البشر إلا أن هناك اختلافاً بالنظرة لما يجوز فعله أو لا يجوز وبما هو مباح هناك وليس مباحاً هنا مثلاً.

وانطلاقاً من ذلك كله أنه لا يوجد فرق يذكر بين الأدب المصري والأدب الشامي أو العراقي، إلا في بعض النقاط الصغيرة، فالرواية في مصر أعني الرواية المصرية تقرأ في كافة الأقطار العربية والمتلقي لها لا يجد فرقاً كبيراً في إمكانية حدوثها بتفاصيلها في أي مكان من الوطن العربي.

لكننا نجد فرقاً مثلاً حينما نقرأ رواية من الأدب الصيني أو الهندي أو الياباني. لأن العادات والتقاليد والمفاهيم تختلف ومع ذلك فإن المتلقي يقرؤها ويستمتع بها مع احتضانها لهذه العادات والتقاليد المختلفة.

إذن لا نختلف حينما نؤكد على أن هناك أدباً عربياً أو أدباً إنجليزياً أو أدباً أمريكياً مع أنه مكتوب باللغة الإنجليزية لأن لأمريكا مفاهيم خاصة مختلفة عن المفاهيم الكائنة في المملكة المتحدة.

وهذا ما يدفعنا إلى القول أن هذه التسمية كانت تتبع الحالة أو الوضع السائد، وقد كتب الشعر شعراء لم يكونوا مسلمين إلا أن النقاد الدارسين صنفوا هؤلاء من شعراء المرحلة التي عاشوا فيها فهم من ضمن شعراء العصر الأموي أو العباسي أو غيره.

وبالعودة إلى الحاضر مرة أخرى يبدو أن الكثيرين ما زالوا غير مكترثين بالتقسيمات السياسية التي فرضت على الأمة من الاستعمار و مازالوا يشعرون بالنظرة العامة، وهذه النظرة تنقسم إلى رؤيتين، أولهما، الرؤية العربية كما ذكرت وثانيهما وهي الأشمل الرؤية الإسلامية على اعتبار أن المسلمين أمة واحدة من حيث نظرتهم للحياة والوجود والفكر العام الشامل.

ويبدو أن القائمين على إنشاء رابطة الأدب الإسلامي قد التبس عليهم المصطلح، أو ربما ولأسباب سياسية ابتعدوا عن المسمى الأول ولجأوا إلى المسمى البديل خوفاً من المساءلة والاتهام.

فهناك فرق واسع بين مصطلح الأدب الإسلامي وبين رابطة الأدباء المسلمين أو سواه من المصطلحات الأخرى، وقد ظهر ذلك في المواصفات التي يجب أن يتحلى بها العضو، فمثلاً لو أن أديباً مسيحياً كتب قصائد إسلامية أو رواية إسلامية، وهذا موجود في الأدب العربي وبين الأدباء العرب ونحن نعرف الكثيرين ممن كتبوا أدباً إسلامياً مع كونهم ينتمون إلى ديانات أخرى غير الإسلام، هؤلاء لا يقبلون في هذه الرابطة مع كونهم يتعاطون في كتابة الأدب الإسلامي بأنواعه المختلفة، حتى ولو كان هذا الأدب إبداعاً متميزاً، وبالعكس فالأديب المتواضع إبداعياً وملتزم إسلامياً له الحق الكامل بالانتساب لرابطة الأدب الإسلامي.

ومن هنا فإنني أعتقد أن الجزئيات الأخرى الواردة قد وضحت تماماً ولكن لا بد من بعض الإيضاحات، منها أن الأدب ينعكس عليه وفيه فكر الأمة وحضارتها ومفاهيمها ولذا فالأدب في لغتنا العربية متأثر بالثقافة الإسلامية، والثقافة الموروثة بائنة في ثنايا إبداعنا الأدبي سلباً أو إيجاباً.

بغض النظر عن مدى التزام الأديب بدين الإسلام أو بدين آخر، وبالمقابل فهناك أدب يهودي (عبري) نسبة إلى لغته التي كتب بها، وإن كان الفكر اليهودي والمفاهيم الدينية والعادات والتقاليد تتمظهر كثيراً في هذا الأدب وهذا ما ينطبق على غيره من الآداب.

أما من حيث وجود رابطة خاصة، فقد أسهبت في المقدمة لأسباب تواجدها والدافع إلى ذلك، وأما أعضاؤها فكثير منهم منتسبون إلى الاتحادات والروابط الموجودة في بلادهم.

أما ما تقدمه هذه الرابطة فهو شبيه بما تقدمه الروابط الأدبية، فكل يدعي أنه راع للأدب والثقافة وأنا أعتقد أن الأديب يقدم لنفسه إنتاجاً وهو يخدم نفسه أكثر مما تخدمه الروابط إلا فئة قليلة هامشية تعتمد على هذه الروابط، بل هي التي صنعته وهو يتكئ عليها، أما المبدع الحقيقي فبوجود هذه الرابطة أو تلك أو عدم وجودها لا يشكل له شيئاً أساسياً في إبداعه وإنتاجه.

أما ردود الفعل، فمنذ القديم هناك اختلافات في الرأي وجماعات خاصة تلتقي على قواسم مشتركة فيما بينها لتؤلف فيما بينها نادياً أو ملتقى أو ائتلافا ما لإيصال وجهة نظر مشتركة أو لاستبدال مفهوم القبيلة بمفهوم جديد بمعنى أن الحزبية والتجمعات والهيئات والمؤسسات ما هي إلا صورة أخرى لصورة القبيلة القديمة، ويبقى الرد الممكن من الطرف المسؤول عن مثل هذه الرابطة أو غيرها وهو إذا كانت القومية تشكل قاسماً مشتركاً لتسمية الأدب بالأدب العربي فإن الدين الإسلامي وهو صاحب اللغة العربية والتي هي لغة القرآن الكريم أحق وأولى بهذا التجمع الأدبي.

ونحن نقول إن مسلمين كثيرين يقرؤون القرآن ويتلونه تجويداً وحفظاً ولكنهم لا يكتبون إلا بلغة قومهم، فالإسلام لم يخلصهم من قوميتهم، ولكن الإسلام في بلاد العرب حافظ على قوميتنا وعنوانها الأول لغتنا العربية.

شاعر أردني

دوستويفسكي يطرح رؤية إسلامية

إبراهيم العجلوني

■ مصطلح «الأدب الإسلامي» مصطلح حديث ولم يبدأ الناس يتكلمون به إلاّ منذ عقدين من الزمن على وجه التقريب ولكن السؤال هو عن ذلك الأدب الذي كتب منذ خمسة عشر قرناً إلى الآن، ولم يكن يشار إليه على أنه أدب إسلامي فهل هو أدب غير ذلك، أما بخصوص توظيف الأدب فإنه لا يمكن أن يكون شيئاً جيداً على أية حال، فالأدب يأتي طبيعياً وحيوياً في مساره دون أي افتعال أو قسر، ومن أجل ذلك قد تجد كاتباً مثل دوستويفسكي في روايته «الأخوة كرامازوف» يطرح رؤية إسلامية أو كاتباً مثل هيرمان هيسه في «لعبة الكريات الزجاجية» وفي الملاحق الثلاثة التي أضافها إلى الرواية تجده في جانب منه يتقاطع مع ما نفهمه نحن من معنى «الأدب الإسلامي».

وماذا عن الشعر الذي كتبه الشريف الرضي أو محيي الدين بن عربي أو المتصوفة والزهاد في الإسلام، وماذا عن كثير من الأحاديث النبوية التي هي في ذروة البلاغة وبها لونٌ من القصّ أليس كل ذلك أدبا إسلاميا ..!!

إنني أعتقد أنه أيّما أدب صدر عن نفس مؤمنة بالله ولها تصورها لهذا الكون والحياة والوجود وفيه مراعاة لوحدة الخلق ووحدة الخالق فأنا أعتقد أنه أدب إسلامي، فالإسلام أوسع من معنى التشريع والفقه وأوسع من هذه الحدود التي تحيط بالعالم الإسلامي لأنه دين الكون وأي مسلم حقيقي لا بد أن يصدر عن اعتقاد عميق بأن هذا الكون مسلم وأن السماوات مسلمة وكل إنسان يولد على الفطرة يولد مسلماً، وأن رواية الإسلام أوسع في التصور من هذا الضيق الذي قد يذهب إليه بعضهم ..!!

ولكن بعض الشخصيات في الأدب الإسلامي تبدو مثل البطل المصمت أي دائرة مكتملة فهو لا يأتيه القلق من بين يديه ولا من خلفه وهو منطوٍ على كمالاته وهذا أمر مناف لطبيعة الإنسان، والله سبحانه وتعالى يقسم بالنفس اللوّامة ويرى أن الإنسان في حالة ضعف وهلع دائم «خلق الإنسان هلوعاً» والقلق من طبيعة هذا الإنسان حتى أن المؤمن أشد قلقاً في مواجهة حوادث الوجود وتناقضاته.

ابن الجوزي مثلاً ينادي بشيء يسميه «التكليف العقلي» وهو يختلف عن تكليف الجوارح ،وهذا التكليف يعني أن ننظر في مشكلة الشر في هذا الوجود ونرى إلى تناقضاته، فتجد هيلمان الأشرار والواقع المزري للأخيار. وإذا أنت صبرت على هذه التناقضات وعزوتها إلى حكمة حكيم خبير قادر وقلت: لا بد أن تكون هناك ظلال لهذه الصورة وحقائق لا أدركها، فأنت دخلت فيما يسميه ابن الجوزي تكليف العقل وهو مواجهة نفسية لمشكلة الشر في العالم، بالحكمة، وعمق الإيمان، والاصطبار. القضية إذن أن الإيمان لا يجعل الإنسان حالة مصمتة وفي حرز حريز من أي قلق. فالأدب أساسه القلق وأنت إذا لم تكن قلقاً لن تكتب أدباً والثيمة الرئيسية في الإبداع هي القلق ولذلك لا أعتقد أن في الجنة شعراء لأنها عالم مثالي كامل..!!

أديب أردني

الأدب الإسلامي يعكس نظرة الإنسان للوجود

د.مأمون فريز جرار

■ الأدب الإسلامي وجد منذ ظهر الإسلام في الجزيرة العربية، ووقف الشعراء فريقين: فريق أسلم واتخذ الفن الشعري وسيلة من وسائل الجهاد في الدفاع عن الإسلام ورسوله عليه السلام. وفريق آخر وقف في وجه الإسلام وهاجمه بكل شراسة.

في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولد الأدب الإسلامي في القصيدة والخطبة وفي الرسالة وفي أشكال أخرى ولدت في عصور تالية. وامتد هذا الأدب ورافق الفاتحين في رحلات الفتح، وكانت تسير في خط موازٍ له ألوان من الأدب التي تحدثت عنها سورة الشعراء في ختامها: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون». ففي الوقت الذي وجد فيه شعر الفتوح وجد شعراء جعلوا همهم في الحياة المرأة والعلاقة بها، سواء في ذلك ما سمي بشعر الغزل العذري أو الغزل الحسي. ولا يفهم من كلامي أن الأدب الإسلامي هو ما يتحدث عن الإسلام مباشرة، أو أدب الدعوة أو أدب الوعظ أو أدب الزهد، فذلك بعض مجالات أو ألوان الأدب الإسلامي، والحديث عن المرأة باب من أبواب الأدب الإسلامي حين تتجلى في الحديث عنها مواقف العفة والنظر إليها لا باعتبارها جسداً بل باعتبارها إنساناً ويصعد الشاعر علاقته بها في آفاق سامية.

ولا أوافق على ما يشاع لدى بعض النقاد من أن الشعر قد لان في الإسلام فيما قيل عن شعر حسان بن ثابت أو ما قيل إن باب الشعر نكد فإذا دخل في الدين لان، أو إن أجمل الشعر أكذبه وغير ذلك من الشائعات النقدية المبنية على مقاييس مفصلة على أهواء من يقولونها.

الأدب الإسلامي هو أدب رواية ينطلق منها الأديب ليرى الوجود كله ويفسر هذا الوجود، ومن خلال هذه الرؤية تأتي نظرته إلى الإنسان وغاية وجوده ومساره ومصيره، وإلى الحياة وغايتها، وإلى عالم الغيب وصلته بعالم الشهادة.

ومن هنا فإنني أؤمن بوجود أدب إسلامي وأدب مسيحي وأدب بوذي ويهودي وماركسي ووجودي إلى غير ذلك من الملل والنحل والمذاهب والرؤى.

وإذا كان هذا التصنيف مبنياً على المضمون وعلى الرؤية فإنني أؤمن كذلك بوجود آفاق مشتركة بين مختلف هذه الآداب هي الأفق الإنساني المشترك الذي يجمع بين الناس. فليس كل ما بين البشر مختلفاً، فهناك المختلف وهناك المؤتلف المشترك. ولذلك أيضاً هناك المشترك من الخصائص بين هذه الآداب وهي الخصائص الفنية، فالأدب لا يسمى أدباً إذا خلا من الشروط الفنية، والمضمون الراقي الشريف لا يصنع الأدب الجميل المؤثر، لأن الأدب ثمرة موهبة، ولكن الذي يميز أدباً عن أدب وأديباً عن آخر هو الرؤية إلى الأشياء والكون من حولهم.

أما سؤالك : لماذا توجد رابطة خاصة بالأدب الإسلامي ولا ينتمي أعضاؤها إلى روابط الأدباء العرب المنتشرة فأقول عن الشق الأول منه إن وجود رابطة الأدب الإسلامي مرتبط بوجود أصحاب الاتجاه الإسلامي في الأدب وهم يمتدون على الخريطة الإسلامية، فضلاً عن الخريطة العربية أي أن لوجود هذه الرابطة امتدادية: مكانياً تشمل العالم الإسلامي، ورؤيوياً لاتفاق المنتمين إلى هذه الرابطة في النظر إلى الوجود والإنسان والحياة. ولرابطة الأدب الإسلامي مكاتب تمتد من ماليزيا إلى بنغلادش إلى الهند والباكستان وتركيا والأردن فالسعودية ومصر والمغرب والسودان، وهناك وجود لها بشكل أو بآخر في عدد من بلاد العروبة والإسلام.

ومن جهة أخرى فإن عدداً لا بأس به من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي ينتمون إلى الروابط المحلية في بلادهم لأن هذه الروابط هي أشبه بنقابات للأدباء على اختلاف اتجاهاتهم. ومن الأمثلة على ذلك في الأردن على سبيل التمثيل لا الحصر أذكر بعض أعضاء رابطة الأدب الإسلامي في الأردن وهم أعضاء في رابطة الكتاب أو اتحاد الكتاب ومنهم: خليل السواحري، وإبراهيم العجلوني، ومحمد ضمرة، وسعد الدين شاهين، ونبيلة الخطيب، وعودة الله القيسي، وعمر الساريسي. وأظن ان هذا التمثيل ينقض القسم الثاني من السؤال.

أما عن سؤالك ما الذي يمكن أن تقدمه هذه الرابطة لمنتسبيها مما لا تقدمه اتحادات الكتاب العرب الأخرى ، فلعل من المفيد أن يوجه هذا السؤال إلى مجموعة من أعضاء الروابط الأدبية (اتحاد الكتاب ورابطة الكتاب) الذين انتموا إلى رابطة الأدب الإسلامي بعد سنوات من انتمائهم إلى رابطة أخرى.

ومن أهم ما تقدمه الرابطة هذا الجو الأخوي البعيد عن التناحر والجو النظيف الذي لا تلوثه الأحقاد والصراعات والانحرافات الفكرية أو السلوكية، بالإضافة إلى الأنشطة الأدبية الدورية التي تجد فيها جمهوراً حقيقياً ولا يطلب منك إن أردت أن تقيم نشاطاً أن تحضر جمهورك معك لتجد من يستمع إليك.

هذا فضلا عن أنشطة أخرى من مسابقات ومؤتمرات على مستوى محلي ودولي.

وأخيرا تسألني عن الإشكاليات وردود الفعل التي يمكن أن تنشأ في حالة الاستمرار في مثل هذه التسميات اللاأدبية والقائمة على أسس دينية ، ففي هذا السؤال أشم رائحة التحريض والإثارة!! فما الذي يضير (الأدباء) الذين يختلفون في الرؤيا عن الأدباء الإسلاميين وجود هؤلاء الأدباء ورابطتهم، وهي رابطة لا تطلق النار على غيرها ولا تسعى إلى أن تكون بديلاً عنها، هي تيار من تيارات وفرع من نهر الحياة الذي يضم أطيافاً وألواناً؟! ترى ماذا أثار وجود كيانات سياسية قطعت أوصال الوطن الواحد لدى الأدباء؟! ألم ينتموا (قطريا) إلى اتحاداتهم وروابطهم القطرية واصطفوا في بعض الأحيان ضد قناعاتهم؟!

وجود رابطة الأدب الإسلامي لا ينبغي أن يستفز الآخرين الديمقراطيين. وقد مضى على وجود رابطة الأدب الإسلامي عشرون سنة، فماذا كان صدى ذلك على المستوى العربي؟ وأي معركة افتعلتها هذه الرابطة؟ لقد كانت بين حين وآخر هدفاً لبعض الكتاب من ذوي الأجندات الخاصة!! حتى كتب أحدهم مقالاً منذ مدة قصيرة (الحل هو حل الرابطة) ويعني بذلك حل رابطة الأدب الإسلامي في الأردن!! ولم يستطع في مقاله المفتعل أن يحدد المشكلة التي اقترح لها حلاً إلا من باب خلق إشكال من غير داعٍ!! الأدب الإسلامي حقيقة موجودة منذ فجر الإسلام وامتد وجوده عبر العصور المختلفة. ولئن لم يظهر هذا المصطلح (الأدب الإسلامي) من قبل فلأن الإسلام كان هو صبغة المجتمع وكانت له الكلمة العليا في الحياة وحين طرأت علينا أمواج التغريب منذ الاحتلال الأجنبي لبلادنا وطغيان أمواج العولمة بدأت عملية استعادة الهوية فتجلى هذا المصطلح (الإسلامي) صفة لعدد من المناشط في الحياة!!

ناقد وأكاديمي أردني

رابطة خاصة بالأيدولوجية الإسلامية

د. عودة الله منيع القيسي

■ لا مشاحة في أن يأخذ الروائي الإسلامي أو العربي من أدوات فن الرواية في الشرق أو في الغرب، وأن يجدد بما يراه غير مخرج لفن الرواية عن إطاره العام، وهو إطار واسع يحتمل ألواناً كثيرة من الأساليب، ولكي يزداد الأمر وضوحاً.. فما أظنك إذ نتحدث عن المرأة المسلمة والمرأة الغربية تطلب من المتحدث أن يبين لك الفرق في «الشكل» والشكل من فنيات الرواية وإنما الفرق الجوهري بينهما في المضمون أي في الأفكار وما تختزنه النفس من قيم، ومن نظرة إلى الحياة، وما بعد الحياة.

ولذا..لا مشاحة أيضاً في أن يتبادل الفن الروائي الأدوات، كأن يأتي الروائي المسلم بأداة فنية جديدة، فيفيدها منه الروائي الغربي أو الشيوعي، والعكس صحيح. واهم شيء في الرواية والقصة القصيرة والأعمال المسرحية والشعر أن يكون العمل الفني مقنعاً وأيضاً ممتعاً ومبدعاً وهذا ما سميته أنا «العينات الثلاث». ولهذا.. فكتاب البخلاء للجاحظ هو مجموعة قصصية مقنعة ممتعة مبدعة، وإن لم تقم على بعض أدوات القصة الحديثة.

ومثل البخلاء كتاب (المعذبون في الأرض) لطه حسين، ولهذا فالقرآن الكريم عندما عرض إلى الشعر لم يعرض إلى فنيات الشعر، وإنما عرض إلى المضمون، وهذا يجدر أن يقنعنا أن لو كانت للشعر نظرية خاصة في الإسلام.. لما تركها القرآن بل لأورد خطوطها العريضة، فالله تعالى يقول: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (الأنعام ـ 38)، أي من أصول الأشياء التي تتولد منها الفروع ويقاس عليها، في الشرع، وفي كل مجال، والفن مجال من المجالات.

وإذن الذين يقولون: نريد إيجاد نظرية للفن الإسلامي إنما هم يترنمون بكلمة نظرية كما يترنم كثير من الناس بكلمة فيلسوف ظانين أن كلمة فيلسوف أدل على قوة العقل وغزارة العلم من كلمة «فقيه» مثلاً.

ولذا حدد القرآن مضامين الشعر دون فنياته وما ينطبق على الشعر ينطبق على الرواية وكل لون من ألوان الفن فقال: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (الشعراء ـ 227).

استثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا لا يعني أن الشعر يجب أن يكون تسبيحاً وتكبيراً، بل يصح أن يكون في كل ميدان حتى الغزل والهجاء والمدح، على ألا يغادر الحق وما يرضي الحق: «ذلك بأن الله هو الحق» (الحج ـ 62). ثم إن له أن يستعمل من أدوات الفن ما يراه مناسباً لمضامينه. ومثل الشعر.. الرواية وكل فن من الفنون.

أما أجناسه، فهي أجناس الأدب في كل مكان، وتحت أي مسمى ففيه الشعر، وفيه القصة القصيرة، وفيه الرواية والمسرحية وفيه الرسم وإن كان قليلاً.

أما سؤالك: هل يمكن في هذا السياق أن نتحدث عن أدب مسيحي، وبوذي ويهودي وغيره؟ وما الذي يمكن أن يحدد خصوصيته؟

بشكل عام لا يمكن أن نتحدث عن أدب مسيحي أو بوذي. لماذا؟ لأن المسيحية والبوذية لم تعد كل منهما أيديولوجية لا حياتية، يقام على أساسها نظام اقتصادي أو اجتماعي أو تربوي. وإنما المسيحيون يعتنقون أيديولوجيات دنيوية كالرأسمالية والشيوعية. فقد انبثقت كل منهما عن فلسفة تؤمن بأن الإنسانية يجب أن تهتم بما تتقدم به حياة المجتمعات.

أما الشيوعية والرأسمالية فهما فلسفتان تلتقيان على الانطلاق من المادة والبقاء في إطارها مع اختلاف في التوجه، فوجهة الشيوعية المجتمع، ووجهة الرأسمالية الفرد. وأصحاب البوذية كأصحاب المسيحية، هم إما يسيرون على النظام الشيوعي أو النظام الرأسمالي. ومثلما اليهود اللهم إلا من أرادوا للتوراة أن تكون عقيدة ومنهاج حياة، فهؤلاء وهم شرذمة قليلون، إذا ما كتبوا أدباً كان يمكن أن نطلق عليه «أدب يهودي» .

أما الإسلام فهو أيديولوجية تجمع بين الحياة وما بعد الحياة، في تنسيق تنظيري وعملي متكامل، وهو يتضمن نظرية اجتماعية وأخرى اقتصادية كلتاهما واضحة المعالم، وبينهما تبادل وتنسيق في المعطيات. وأمام هذا فشيء طبيعي أن يقوم أدب يوصف بأنه أدب إسلامي كما يقوم أدب شيوعي، وآخر رأسمالي.

وبخصوص وجود رابطة خاصة بالأدب الإسلامي أقول بعد ما سبق من توضيح أن ثمة سبباً واضحاً يدعو إلى وجود رابطة خاصة بالأدب الإسلامي، وإلاّ فهل تجد رابطة تنظم أدب الشيوعيين والرأسماليين؟ وحتى إذا وجدت مثل هذه الرابطة فليس ما هي عليه من تركيبة يمنع وجود روابط أخرى الواحدة منها تستقل بالشيوعيين، والأخرى تستقل بالرأسماليين. بل ليس ما هي عليه من تركيبة ينهض حجةً على عدم الحاجة إلى رابطة للأدب الإسلامي لما أسلفناه؛ وهو أن الأدب الإسلامي ذو إيديولوجية تؤمن بالغيب والشيوعية والرأسمالية وهما أيديولوجيتان أرضيتان لا علاقة لهما بالغيب فهما تلتقيان على الإخلاد إلى المادة، واطراح الغيب. ومع ذلك.. فرابطة الأدب الإسلامي لا تحول بين أعضائها وبين الانضمام إلى روابط أخرى، وأنا نفسي عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين.

ومن حيث الشكل، رابطة الأدب الإسلامي لا تقدم لأعضائها إلا ما تقدمه الروابط الأخرى لأعضائها. أما من حيث الجوهر.. فإن الفكر الذي يطرحه أعضاء الرابطة، والتوجهات الحياتية هي خاصة بالأيديولوجية الإسلامية، أي بتصور الكاتب الإسلامي وهو يختلف عن الكاتب المسلم، أن الأول صاحب تصور فكري إسلامي للكون والحياة والإنسان. أما الثاني فالأمر عليه مختلط؛ فهو يؤمن بالعقيدة الإسلامية، وقد يؤدي بعض العبادات، ولكنه يقبل عن غفلة أو جهل تصوراً ليس إسلامياً للحياة في شقيها الاجتماعي والاقتصادي. وتصور الكاتب الإسلامي يقوم على نظرة تصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فلا انفصال في تصوره بين هذين العالمين، بل هما متناسقان، يضمهما نظام واحد، إذ لا اختلاف بين تعاليم السماء، وبين ما تصلح به حياة الإنسان، فرداً وجماعة، على هذا الكوكب.

إذن من حق الأديب الإسلامي أن يكون له رابطة تجمع هؤلاء المتجانسين في العقيدة والفكر من غير أن يحول ذلك بينه وبين الانضمام إلى رابطة أخرى أو روابط. ولعل رغبة أديب إسلامي بالانضمام رابطة أو روابط أخرى يتوقف على سعة أفقه الذي لا يأتي من تنوع مصادر ثقافته التي لا تقف عند حدود الثقافة الإسلامية بل تضم إليها ثقافة عالمية في الفكر والفلسفة والأدب وفي سائر الفنون.

أما ما الإشكالات التي يمكن أن تنشأ من هذه التقسيمات اللاأدبية القائمة على أسس دينية؟

أحسب بعد كل ما سبق من توضيح أن وجود رابطة للأدب الإسلامي خاصة أمر طبيعي، لما تبيناه من أن الأديب الإسلامي صاحب أيدولوجية فكرية يقوم عليها تصور لكل جوانب الحياة، ينظم ما يجب أن تكون عليه جوانب الحياة المختلفة شأن التصور لجوانب الحياة الناشئ عن الفكر الرأسمالي أو الشيوعي.

أما المسيحية والبوذية واليهودية...إلخ، فليست أيديولوجيات فكرية، ينشأ عنها تصور ينظم أو يحاول أن ينظم جوانب الحياة، فهذه الأديان إن هي إلا أيديولوجيات اعتقادية، ليس لها إلا أثر ضئيل في الحياة ولهذا تجاوزها معتنقوها في النظر إلى تنظيم الحياة إلى أيديولوجيات وضعية لا علاقة لها بالغيب كما أسلفنا القول.

وعلى هذا فقياس الإسلام على اليهودية والمسيحية والبوذية لا يتنبه إلى هذا الفارق الجوهري بين الإسلام وبين الأديان الأخرى ولا يلمس هذا الفارق الجوهري، لأن الإسلام ببساطة له أدب، عن طريق ما ينتجه الأديب الإسلامي.

وليس للأديان الأخرى في القرون الحديثة أدب إذ لا يوجد أديب يقيم تصوره لجوانب الحياة وحل مشكلاتها على أساس منبثق من هذه الأديان، لما ذكرناه آنفاً من تجاوزها إلى الأخذ بأيديولوجيات أخرى يراها أصوب في تنظيم الحياة، وحل مشكلاتها.

ناقد وأكاديمي أردني

ابراهيم العجلوني (القدس العربي)

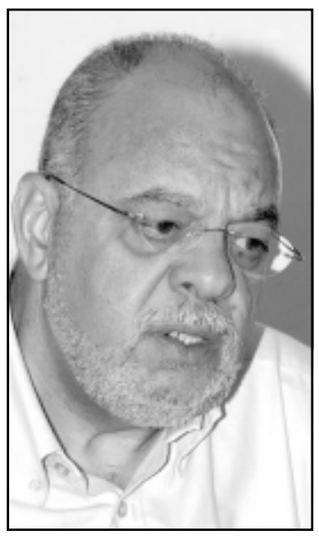

عزمي خميس (القدس العربي)

عودة الله القيسي (القدس العربي)

د.مأمون جرار (القدس العربي)

غدا: حلقة ثانية واخيرة من مصر